الأدب الإسلامي وعلاقة الشكل بالمضمون

قضية العلاقة بين الشكل والمضمون قضية قديمة في تاريخ الأدب والنقد ، وإن عُبِّر عنها بمصطلحات مختلفة.ولكن لم يتح لوجهة النظر الإسلامية أن تخضعها لفهمها الخاص ، لاقديماً ، ولاحديثاً . ففي المراحل السابقة للعصر الحديث لم تكن نظرية الأدب الإسلامي قد صيغت بشكل متكامل الأبعاد وإن وجدنا جذورها الأدبية والنقدية متناثرة هنا وهناك ، ولسنا هنا في مجال تعليل ذلك . أما في العصر الحديث فقد حوصر الكيان الإسلامي أرضاً وفكراً ، حتى كاد أن يتغير جوهره لولا قوة حافظة لهذا الجوهر من الذوبان أو الموت . وهاهو يزيل الركام ويثبت وجوده في مظاهر الحياة كافة ، ومنها النشاط الإنساني في مجال الأدب والفن .

في تاريخ النقد العربي عُبِّر عن القضية بمصطلحي اللفظ والمعنى ، وكتب عنها الكثير ، ويبدو أن أغلب الذين كتبوا فيها كانوا من أنصار اللفظ ، فالجاحظ يرى أن المعاني مطروحة في الطريقة وإنما الفضل في الصياغة ، والشعر عنده صياغة وضرب من التصوير ، وأبو هلال العسكري يجاريه في هذا الإتجاه ، فيقول : « وليس الشأن في إيراد المعاني ، لأن المعاني يعرفها العربي والعجمي والقروي والبدوي ، وإنما هو في جودة اللفظ وصفائه وحسنه وبهائه ، ونزاهته ونقائه ، وكثرة طلاوته ومائه ، مع صحة السبك والتركيب . . . وليس يطلب من المعنى إلا إن يكن صواباً »(١) وقد استفرغ هذا الإتجاه في تاريخ النقد العربي كثيراً من الجهد ، ويلاحظ أنه يتساوق مع ملامح هذا النقد المناصر للصنعة والشكل . وتستطيع أن تلحظ الإهتمام بالصنعة هذه من خلال المصطلحات النقدية عندهم ، فهي مابين الصياغة والحبك،والنسْج والسبك ، والتفويف وغير ذلك . .

ثم إن قضية الإهتمام باللفظ لم تعرض من خلال علاقته بالمعنى وارتباطه به ،